النص التاريخي المُوَثّق لغزوة بَدْر الكبرى

د.أحمد محمد شعبان

باحث في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هاجر النبي ﷺ إلى المدينة بعد أن وقف زعماء مكة في وجه دعوته، ونَكَّلوا بأصحابه وأهدروا دمه ، وما إن وصل إلى المدينة حتى أرسلوا إلى أهل يثرب تهديداً يقولون فيه :

((إنّكم آويتم صاحبنا ، وإنَّا نُقْسِم بالله لتُقَاتِلُنَّه أو لَتُخْرِجُنَّه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم)).[1]

أخذ النبي ﷺ وأصحابه جانب الحَيطة والحذر فكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه ، وكان جماعة من الصحابة يتناوبون على حراسة النبي ﷺ باستمرار.[2]

وفي هذه الظروف التي تهدد بقاء المجتمع الإسلامي الجديد أذن الله سبحانه للمسلمين بالقتال للدفاع عن أنفسهم من الخطر المحدق بهم[3]،

---

(١) سنن أبي داود باب خبر النضير ١٥٦/٣ . وكان الكتاب موجهاً إلى عبد الله بن أبي رأس المنافقين بصفته زعيم يثرب في ذلك الوقت .

(٢) روى الترمذي عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحرس ليلاً ، حتى نزل : ((والله يعصمك من الناس)) فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة فقال : أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمنى الله عز وجل . جامع الترمذي أبواب التفسير ١٣٠/٢ .

(٣) جاء الإذن في القتال بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ سورة الحج . انظر تفسير القرطبي عند تفسير هذه الآية ٤٦/١٢.

فبدأ النبي ﷺ بإرسال السرايا لإشعار المشركين واليهود والمنافقين بقوة المسلمين وقدرتهم على صد أي اعتداء يتعرضون له ، وتهديد قريش في مصدر ثروتها الرئيسي قوافلها التجارية إلى الشام ، واختبار قوة القبائل المحيطة بالمدينة، ومحاولة كسبها بالموادعة أو المحالفة ..

حققت السرايا والغزوات قبيل بدر كثيراً من أهدافها ، فقد حالف النبي ﷺ قبيلة جهينة أكبر القبائل المنتشرة غربي المدينة ، وأدرك زعماء مكة أن تجارتهم الرئيسية أصبحت في خطر فصاروا يأخذون الحيطة كلما اقتربوا من المنطقة .

وفي جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة الموافق ٦٢٣م خرج رسول الله ﷺ في مائة وخمسين مقاتلاً لاعتراض قافلة كبيرة خرجت من مكة إلى الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب ، حتى إذا وصل النبي ﷺ إلى ذي العُشَيْرَة[1] تبين له أن القافلة تجاوزت إلى الشام ، فأقام فيها مدة وادع خلالها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضَمْرَة ورجع إلى المدينة[2] مترقباً عودة القافلة ، وبعد مدة أرسل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسسان خبرها.

أقامت القافلة في الشام إلى نهاية شعبان ، ثم اتجهت إلى مكة ، ولما اقتربت من الحجاز صار أبو سفيان رئيس القافلة يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، فأبلغه بعضهم أن محمداً قد استنفر أصحابه للقافلة وهي ذاهبة إلى الشام، وأنهم الآن يترصدون عودتها للإيقاع بها ،

(١) ذو العشيرة : موضع بينبع عند منزل الحاج ، ليس بينها وبين البلد إلا الطريق ، وهي أول قرى ينبع النخل مما يلي ينبع البحر. السمهودي: ٣٨٨/٤ ، ٣٨٩ ، ومعجم معالم الحجاز ١١٠/٦ ، ١١١.

(٢) ابن هشام ٢٣٦/٢ ، ابن سعد ٩/٢ .

فأرسل ضَمْضَم بن عمرو الغفاري إلى مكة يبلغ قادة قريش بالخطر المحدق بعيرهم طالباً منهم النجدة لإنقاذها[1].

وقبل وصول النذير إلى مكة رأت عاتكة بنت عبد المطلب في المنام أن راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ، ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ، فاجتمع الناس إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله وقف به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ، ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ، ثم وقف به بعيره على جبل أبي قبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل تفتتت وانتشرت أجزاؤها فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها قطعة منها .

فشا أمر هذه الرؤيا في مكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها , وأصاب العباس بسببها أذى شديد ، حتى قال له أبو جهل مستهزئاً : يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم !!! لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإلا نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

وفي اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، أقبل ضَمْضَم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ في بطن الوادي واقفاً على بعيره قد حوّل رحله ، وشقّ قميصه ،

---

(١) ابن هشام ٢٤٤/٢ ، ابن سعد ١٢/٢ ، الطبري ٤٢١/٢ .

ويقول : يا معشر قريش اللَّطِيْمَة اللَّطِيْمَة[١] أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث[٢] .

فتجهز الناس سراعاً في يومين أو ثلاثة ،[٣] وأعان قويهم ضعيفهم ، ولم يتخلف أحد من أشرافهم سوى أبي لهب خوفاً من رؤيا عاتكة ، وبني عدي فلم يخرج منهم أحد[٤] .

وأراد أمية بن خلف القعود لأن سعد بن معاذ قال له يوماً بمكة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنهم قاتلوك ، قال : بمكة ؟ قال له : لا أدري، ففزع لذلك أمية وقال : والله لا أخرج من مكة أبداً ، فلم يزل به أبو جهل حتى خرج معهم[٥] .

وأكرهوا رجالاً من بني هاشم على الخروج منهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وطالب بن أبي طالب وعقيل بن أبي طالب وغيرهم[٦] .

وبعد أن تجهزت قريش للخروج تذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر من كنانة من الحرب ، وخافوا أن تضربهم هذه القبائل من الخلف إن هم خرجوا إلى بدر ، وكاد ذلك الأمر أن يثنيهم عن الخروج لولا أن تبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك ، وكان من أشراف كنانة وقال لهم : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهون[٧] .

---

(١) اللطيمة : هي العير التي تحمل المسك والعنبر وغيرهما للتجارة .

(٢) الواقدي ٢/٢٩-٣١ ابن هشام ٢/٢٤٥ ☐ ٢٤٧ باختصار وتصرف ، والمستدرك ٣/١٩.

(٣) الواقدي ٢/٣٠.

(٤) ابن هشام ٢/٢٥٧ .

(٥) صحيح البخاري ٥/٩١ كتاب المغازي باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر .

(٦) أصل الخبر في دلائل النبوة للبيهقي ٣/١٠٥ وروى ابن سعد ٤/٩ أن أبا جهل أشار عليهم وهم في مر الظهران أن يخرجوهم معهم خوفاً على الأولاد والأهل فرجعوا إليهم فأخرجوهم .

(٧) ابن هشام ٢/٢٥٠ .

عند ذلك تحرك جيش المشركين في ألف رجل[١] ومئة فرس[٢] وعدد كبير من الإبل يقودهم أبو جهل بن هشام ويحمل ألويتهم أبو عزيز بن عمير والنضر بن الحارث وطلحة بن أبي طلحة وكلهم من بني عبد الدار[٣]، ومعهم القيان والدفوف ، حتى إذا وصلوا إلى مر الظهران نحر لهم أبو جهل بن هشام عشراً من الإبل ، ثم انطلقوا في اليوم الثاني حتى إذا وصلوا إلى عسفان[٤] نحر لهم أمية بن خلف تسعاً ، وفي قُديد[٥] نحر لهم سهيل بن عمرو عشراً ، ثم مالوا من قديد إلى مياه نحو البحر أقاموا بها يوماً فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً ثم أصبحوا بالجحفة[٦] فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشراً[٧].

وحتى ذلك الوقت لم يبلغ النبي ﷺ شيء من أمر المشركين أو القافلة، فطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد اللذين أرسلهما يتحسسان خبر القافلة وصلا إلى التجبار من أرض الحوراء[٨]، فنزلا على كشد الجهني فأجارهما

---

(١) مسلم ١٣٨٣/٣ ، الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر . وابن هشام ٢٥٥/٢ .

(٢) ابن هشام ٣١٢/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٢/٣.

(٣) ابن هشام ٢٨٨/٢ - ٢٨٩، وابن سعد ١٥/٢ .

(٤) عسفان: بضم العين وسكون السين ، بلدة عامرة تقع على طريق مكة المدينة ، على بعد ٨٠ كم شمال مكة ، تشتهر بكثرة آبارها ، كانت لبني المصطلق من خزاعة ، ولا تزال معروفة باسمها حتى اليوم. السمهودي ٣٨٧/٤ ، ومعجم معلم الحجاز ٩٩/٦.

(٥) قديد: بالتصغير ، واد كبير كثير القرى والعيون والمزارع ، طوله ١٥٠ كم ، يمر على بعد ١٣٠ كم شمال مكة حيث يقطع الطريق المتجه منها إلى المدينة ، وهذا الجزء منه هو المراد هنا ، كان فيه قرية عامرة. السمهودي ٤٢٩/٤ ، معجم معالم الحجاز ٩٦/٧ فما بعدها.

(٦) الجحفة : بالضم ثم السكون ، ويقال لها : مهيعة كعلقمة أو لطيفة ، قرية تقع على طريق مكة المدينة ، على بعد ١٧٣ كم من مكة . وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، وهي الآن خربة ليس فيها إلا بعض الآثار الباقية ، بني فيها مؤخراً مسجد كبير لراحة الحجاج والزوار. السمهودي ٢٠٥/٤، معجم معالم الحجاز ١٢٢/٢.

(٧) دلائل النبوة ١٠٩/٣ .

(٨) الحوراء: بلدة ساحلية شمال ينبع ، قرب بلدة أم لج ، كانت عامرة كثيرة المزارع ، وهي اليوم خربة ليس فيها إلا بعض الآثار . معجم معالم الحجاز ٧٥/٣ ، ٧٦.

وأنزلهما في خباء ، وبقيا عنده حتى مرت العير ، وهما ينظران إليها، وجعل أهل العير يقولون : يا كشد هل رأيت أحداً من عيون محمد ؟ فيقول : وأنى لعيون محمد في التجبار ، فلما راحت العير ، باتا حتى أصبحا ثم خرجا ليخبرا النبي ﷺ[١].

وكان النبي ﷺ قد استبطأ خبرهما ، فأرسل بَسْبَس بن عمرو[٢] وعدي ابن أبي الزغباء يتسقطان أخبار القافلة ، فسارا حتى أتيا حياً من جهينة قريباً من ساحل البحر فسألوهم عن العير وعن تجار قريش فأخبروهما بقرب وصولها ، فرجعا إلى النبي ﷺ وأخبراه[٣]، فندب النبي ﷺ المسلمين للخروج وقال: ((إن لنا طَلِبَة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا))[٤] فاستأذنه بعض الصحابة أن يجلبوا رواحلهم من بعض مناطق المدينة فلم يأذن لهم[٥] واستأذنته أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث في الخروج معه فقال لها: ((قري فإن الله عز وجل يهدي لك شهادة)) [٦] ، ثم خرج ﷺ يوم السبت الثاني عشر من رمضان[٧] ، ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه[٨]، واستعمل على الصلاة بالناس عبد الله ابن أم مكتوم ، ولما

(١) الواقدي ١٩/١-٢٠ .

(٢) وفي رواية الواقدي وابن إسحاق بسبس وفي رواية مسلم وأبي داود بسيسة ، وصحح الأول الذهبي وغيره انظر شرح الزرقاني على المواهب ٤١١/١ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ١٠٣/٣ .

(٤) صحيح مسلم ١٥١٠/٣ كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد .

(٥) أصل الخبر في المرجع السابق .

(٦) مسند الإمام أحمد ٤٠٥/٦ .

(٧) ابن سعد ١٢/٢ وقال ابن هشام ٢٥١/٢ خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من رمضان وقال أبو جعفر الطبري : وخرج - فيما بلغني عن غير ابن هشام - لثلاث خلون من رمضان .

(٨) اختلف العلماء في عدد من خرج مع النبي ﷺ إلى بدر اختلافاً كبيراً انظر تفصيل ذلك في شرح الزرقاني على المواهب ٤٠٨/١، ٤٠٩.

وصل إلى بئر أبي عنبة توقف[١] واستعرض الجيش فرد من لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، ومن هؤلاء عبد الله بن عمر والبراء بن عازب[٢] وزيد بن ثابت[٣] وعمير بن أبي وقاص . فبكى عمير ﷺ فأجازه ﷺ[٤].

ووزع رسول الله ﷺ الألوية ، فأعطى اللواء العام لمصعب بن عمير، ولواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ، ولواء الأنصار لسعد بن معاذ، وجعل على المؤخرة قيس بن أبي صَعْصَعة النجاري[٥]، وأرسل بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني طلائع أمامه[٦] وانطلق بجيشه جهة بدر يعتقبون سبعين بعيراً[٧] وفرسين ، ودعا رسول الله ﷺ حين ذلك قائلاً ((اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فأطعمهم))[٨] فخرجوا من نقب المدينة[٩] ، وفي حرة الوبرة لحق بالمسلمين رجل صاحب نجدة وجرأة ففرح الصحابة رضي الله عنهم حين رأوه، فقال

---

(١) يذكر الواقدي ٢١/١ أن النبي ﷺ نزل بالبقع عند بيوت السقيا ، والأمر قريب .

(٢) البخاري ٩٣/٥ ، كتاب المغازي باب عدة أصحاب بدر.

(٣) المستدرك ٤٢١/٣ ، والواقدي بأتم من رواية المستدرك.

(٤) المستدرك ١٨٨/٣ .

(٥) ابن هشام ٢٥١/٢ ، وروى ابن سعد ١٤/٢ أن لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، وروى الهيثمي في المجمع ٩٢/٦ أن لواء الأنصار كان مع سعد بن عبادة .

(٦) الواقدي ٢٢/١ وعند ابن هشام ٢٥٦/٢ أنه قدمهما أمامه قريبا من الصفراء ، والمتوافق مع منطق الأحداث ما أورده الواقدي والله أعلم.

(٧) قال ابن إسحاق٢٥١/٢ : كان رسول الله وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً ، وروى الحاكم في المستدرك ٢٠/٣ عن عبد الله بن مسعود قال : وكان علي وأبو لبابة زميلي رسول الله ﷺ ، وانظر الواقدي ٢١/٢.

(٨) أبو داود ١٨١/٣ كتاب الجهاد ، باب فضل السرية تخرج من العسكر ، والواقدي ٢٦/٢ .

(٩) النقب: هو طريق مفتوح في الحرة الغربية ، يمر بالقرب من منازل بني دينار ، وينسب إليهم. انظر السمهودي ٥٠٢/٤ ، ومعجم معالم الحجاز ٧٨/٩.

لرسول الله ﷺ جئت لأتبعك وأصيب معك ، فقال له النبي ﷺ: أتؤمن بالله ورسوله ؟ قال: لا ، قال: فارجع فلن نستعين بمشرك ، ثم تابع النبي ﷺ سيره على العَقِيق[١] ، ثم على ذي الحُلَيْفَة[٢] ، وهناك أدركه الرجل نفسه، فقال له كما قال أول مرة ، فرده النبي ﷺ وقال : فارجع فلن أستعين بمشرك ، ثم تابع النبي ﷺ سيره حتى إذا كان بأُولات الجيش[٣] ، أدركه الرجل فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة : تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : نعم ، فقال له النبي ﷺ : فانطلق[٤] ، ومروا بعد ذلك على تُرْبان[٥] ، ثم على مَلَل[٦] ، ثم

(١) وادي العقيق : من أشهر أودية المدينة ، تجري المياه فيه في مواسم الأمطار ، ويجف صيفًا ، يقدم من جنوب المدينة ، ويسير شمال جبل عير ، بميلان نحو الشرق ، حتى يلتقي بوادي بطحان قرب منطقة القبلتين ، ثم يسير شمالاً حتى يلتقي بوادي قناة ، القادم من شرقي المدينة بمكان يسمى مجمع الأسيال في منطقة زغابة . وقد ورد في فضله أحاديث عدة ، منها ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول : ((أتاني الليلة آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك)) . البخاري ، باب قول النبي ﷺ العقيق واد مبارك ٥٥٦/٢ ، وانظر : تحقيق النصرة ، ١٨٣ ، ووفاء الوفا ٧/٤ فما بعدها .

(٢) ذو الحليفة: قرية غربي المدينة ، تبعد عن المسجد النبوي حوالي ١٢ كم ، وفيها المكان الذي حدده النبي ﷺ ميقاتاً لأهل المدينة ، وقد بني عليه مسجد يعرف بمسجد ذي الحليفة. انظر السمهودي ٢٤٤/٤ ، ومعجم معالم الحجاز٤٩/٣.

(٣) أولات الجيش : ويقال ذات الجيش ، وهي: أرض محجرية مستوية تتخللها مجرات سيول ضعيفة ، ومن أشهر أوديتها وادي أبي كبير ، تقع على طريق الذاهب من المدينة إلى مكة بعد ذي الحليفة. انظر السمهودي ٢١٧/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر للدكتور سليمان الرحيلي ص١٠ .

(٤) الطبقات الكرى لابن سعد ٥٣٥/٣، و أصل الخبر في صحيح مسلم ١٤٤٩/٣ كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر .

(٥) تربان : بالضم ثم السكون واد يقاسم ذات الجيش الماء من رأس المفرحات ، يقع على طريق الذاهب من المدينة إلى مكة ، ويبعد أوله عن المدينة مسافة ٢٤ كم ، ثم يتجه جنوباً حتى يدفع في ملل ، وهو الآن قاحل ليس به زراعة. السمهودي ١٨١/٤ ، معجم معالم الحجاز ١٧/١.

(٦) ملل: بفتحتين ، واد يسيل من السفوح الجنوبية الغربية لجبال قدس ، قليل الزراعة ، له روافد كثيرة منها: وادي الفريش ووادي الجفر ووادي تربان ووادي غميس الحمام وغيرها ، يقع على طريق الذاهب من المدينة إلى مكة على بعد ٤٢ كم ، . السمهودي ٤٨٢/٤ ، معجم معالم الحجاز ٢٦٠/٨.

على غَمِيس الحمام[١] ، ثم على صُخَيرات اليَمَام[٢] ، ثم على السَّيَالة[٣] ، ثم على فَجّ الرَّوحَاء[٤] ، ثم على شَنُوكَة[٥] ، حتى إذا كانوا بعرق الظُبْية[٦] لقوا رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له بعض الصحابة : سَلِّمْ على رسول الله ﷺ قال : أو فيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ، ثم قال : إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه ، قال له سلمة بن سلامة بن وقش : لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليّ فأنا أخبرك بذلك ، نزوت عليها ، ففي بطنها منك سخلة ، فقال رسول الله ﷺ : مه ، أفحشت على الرجل ، وأعرض عن سلمة[٧] .

---

(١) عميس بالعين المهملة ، على وزن أمير، وضبطه البعض بالغين المعجمة ، أحد الأودية التي ترفد وادي ملل من الناحية الغربية ، تتكون مياهه من السيالة والتييس و صخيرات اليمام ، قليل الزراعة يكثر فيه شجر السيالة ، يقع على طريق الذاهب من المدينة إلى مكة على بعد ٤٣ كم تقريباً، السمهودي ٣٩٢/٤ ، معجم معالم الحجاز ٢٥٩/٦.

(٢) صخيرات الثمام بالضم والتخفيف: صخيرات سوداء مرتفعة ، كانت تقع على يمين الطريق الذاهب من المدينة إلى مكة ، بينما ابتعد عنها الطريق اليوم ، و صارت ترى من بعيد. السمهودي ١٩٠/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٢٠.

(٣) السيالة : بالتخفيف كسحابة ، هي أول مرحلة من مراحل الطريق بين المدينة ومكة ، تبعد عن المدينة مسافة ٤٧ كم ، وعن صخيرات الثمام ٣ كم ، وقد كانت قرية عامرة مأهولة إلى أن تحول عنها الطريق إلى الفريش. السمهودي ٣٣٢/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٢٠ ، ومعجم معالم الحجاز ٢٦١/٤.

(٤) فج الروحاء: هو واد ضيق في أوله ، واسع في أوسطه ، يبدأ من السيالة وينتهي عند المنصرف ، طوله حوالي ٢٥كم . السمهودي ٤١٤/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٢٣.

(٥) شنوكة: بالفتح ثم الضم ثم السكون ، جبل بعد شرف الروحاء بقليل ، وقيل: هو الوادي الذي بقربه. .السمهودي ٣٤٥/٤ ، معجم معالم الحجاز ٩٨/٥ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٢٨.

(٦) العرق هو: أول انعراج الطريق ، والظبية بالضم : شجرة تشبه القتادة يستظل بها، وعرق الظبية : موضع على يمين الذاهب من المدينة إلى مكة ، وذلك أن الطريق بعد أن تهبط من فج الروحاء جنوباً تأخذ سيف الجبل، حتى تدور ناحية الغرب ، فأول ما يكون منه هو عرق الظبية. السمهودي ٣٧٢/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٢٥.

(٧) انظر ابن هشام ٢٥٢/٢ ، الواقدي ٤٦/٢.

أما بسبس وعدي ، فانطلقا حتى نزلا بدراً فأخذا شناً لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء ، فسمعا جاريتين على الماء تطالب إحداهما الأخرى بدرهم لها عليها ، فقالت لها : إنما العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك . قال مجدي : صدقت ، ثم خلص بينهما ، فلما سمع بسبس وعدي ذلك انطلقا إلى النبي ﷺ حتى لقياه بعرق الظبية فأخبراه الخبر[١] . فتابع النبي ﷺ سيره جهة بدر ، وفي الطريق نزل عند بئر الروحاء (سَجْسَج)[٢] وهناك رد أبا لبابة واستعمله على المدينة ، ثم تابع سيره حتى إذا كان بالمُنْصَرَف[٣] ترك طريق مكة يساراً واتجه يميناً على النَّازِية يريد بدراً[٤]، وبعد أن سار في ناحية منها قطع وادي رُحْقان[٥] بين النَّازية[٦] ومضيق الصَّفْراء[٧] ، ثم سار على المضيق ثم انصب

(١) الواقدي ٤٠/١ بتصرف .

(٢) البئر لا تزال موجودة ومعروفة حتى الآن.

(٣) المنصرف: بالضم وفتح الراء ، بلدة عامرة تبعد عن المدينة مسافة ٨١ كم ، وتسمى الآن المسيجيد ، كانت إحدى المحطات الهامة في الطريق ما بين مكة والمدينة ، ومنها يتفرع الطريق قديماً إلى فرعين يتجه الأول جنوباً إلى مكة، ويتجه الآخر غرباً إلى بدر والمناطق المحيطة بها. معجم معالم الحجاز ٢٨٧/٨ ، والطريق النبوي إلى بدر ص٣٠ ، ٣١.

(٤) ابن هشام ٢٥١/٢ .

(٥) وادي رحقان : بالضم ثم السكون ، واد كبير تنحدر بعض سيوله من غرب جبل الأشعر (الفقرة) ، يمر به الطريق النبوي إلى بدر في بعض مراحله. السمهودي ٢٨٨/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٣٣ ، ٣٤.

(٦) النازية: أرض منبسطة بيضاء واسعة في وادي الصفراء بين المنصرف وربع المستعجلة ، تمر بها عدة أودية منها وادي الروحاء ووادي رحقان والأشاعب ووادي الجي وغيرها ، وتكثر فيها أشجار السمر والمرخ والحرمل، وكان الطريق النبوي يمر بشمالها. السمهودي ٤٩٢/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص ٣٢.

(٧) مكان ضيق من وادي الصفراء تحيط به الجبال من حافتيه ، يمر به الطريق المتجه من المدينة إلى بدر ، ويبدأ المضيق من المستعجلة إلى الصفراء . انظر السمهودي ٤٧٥/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٣٦.

منه ،فلما استقبل الصَّفْراء[١] وهي قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما اسمهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما هذا مسلح وللآخر : هذا مخرئ ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار ، فكرهما رسول اللّه ﷺ وا لمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما فتركها رسول اللّه ﷺ بيسار وسلك ذات اليمين على وادي ذَفِرَان[٢] فمشى فيه مسافة ثم توقف[٣] .

وبينما كان جيش مكة يتحرك نحو بدر كان أبو سفيان يواصل سيره بحذر وترقب .

وفي اليوم الثاني من وصول بَسْبَس وعدي ماء بدر[٤] تقدم أبو سفيان العير حذراً حتى ورد ا لماء فقال لمجدي بن عمرو : هل أحسست أحداً ؟ فقال : ما رأيت أحداً أنكره إلا أني رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مُناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى ، فقال : هذه واللّه علائف يثرب ، فرجع إلى أصحابه مسرعاً ، وحول اتجاه القافلة نحو الساحل غرباً ، تاركاً بدراً على يساره،[٥] حتى إذا اجتاز المنطقة أيقن أنه أفلت من قبضة المسلمين ،

---

(١) الصفراء: تأنيث الأصفر ، قرية أو واد كثير العيون والنخل وا لزروع ، عدل عنه ا لنبي ﷺ إلى ذفران في مسيره إلى بدر ، وسلكه في رجوعه. السمهودي ٣٥٦/٤. الطريق النبوي إلى بدر ص٣٩.

(٢) ذفران/ بفتح أوله وكسر ثانيه ، واد صغير ينتهي أعلاه بثنية بين جبلين - هي ريعه - ويتفرع منه طريق صعب إلى بدر ، سلكه ا لنبي ﷺ في طريقه إلى بدر. السمهودي ٢٨١/٤ ، الطريق النبوي ص٤٠ ، معجم معالم الحجاز ٢٥٧/٣.

(٣) ابن هشام ٢٥٢/٢ - ٢٥٣ .

(٤) الواقدي ٤٠/١ .

(٥) ابن هشام ٢٥٧/٢ ، والواقدي ٤١/١ ، وابن سعد ١٣/٢ و ٢٤/٢ .

فأرسل قيس بن امرئ القيس إلى قريش يخبرهم بنجاة العير ويأمرهم بالرجوع[١]

وصلت رسالة أبي سفيان إلى جيش المشركين وهم بالجُحْفَة والتي يقول فيها : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع أبداً حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجُزُر ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان، ويسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها[٢] .

لكن الأخنس بن شُرَيق حليف بني زهرة قال لهم : يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا جبنها بي وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لا ما يقول هذا ، يعني أبا جهل ، فرجعوا من الجُحْفة[٣].

وأرادت بنو هاشم الرجوع معهم فاشتد عليهم أبو جهل ، وقال : والله لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع[٤].

وتابعت قريش مسيرها إلى بدر، حتى إذا كانوا بالأبواء نحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً ، وفي الطريق بين الأبواء وبدر توقف الجيش ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً، وعلى ماء بدر[٥] نحر لهم أبو البختري عشراً ، كما نحر لهم مقيس الجمحي في اليوم الذي يليه تسعاً[٦].

---

(١) ابن سعد ١٣/٢ .

(٢) ابن هشام ٢٥٧/٢ وانظر أيضاً ابن سعد ١٣/٢ والطبري ٤٢٤/٢ .

(٣) ابن هشام ٢٥٨/٢ ، والواقدي ٤٤/١ ، وانظر ابن سعد ١٤/٢ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ١٠٨/٣ . إلا أن طالب بن أبي طالب رجع مع من رجع بعد محاورة بينه وبين بعض القوم يتهمون فيها بني هاشم أنهم مع محمد. ابن هشام ٢٥٨/٢ .

(٥) أي: إحدى الآبار الموجود في بدر ؛ لا أنه الماء الذي صارت عنده المعركة .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي ١٠٩/٣ .

أما النبي ﷺ فبعد أن نزل في ذفران أتاه الخبر بإفلات القافلة ومسير قريش إلى بدر ، فاستشار أصحابه ، وكان جماعة من الصحابة كرهوا القتال، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ ﴾[1]. إلا أن كبار قادة المسلمين وقفوا موقفاً شجاعاً، فقد قام أبو بكر فقال وأحسن ،ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله: امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ((اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون))[2] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت إلى برْك الغِمَاد[3] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.[4] وأشرق وجه النبي ﷺ وسرّه قوله ودعا له بخير ، ثم قال ﷺ أشيروا عليّ أيها الناس , وهو يريد أن يعرف موقف الأنصار ، الذين يمثلون الأغلبية ، وبيعة العقبة لا تلزمهم بالقتال خارج ديارهم[5] وفطن إلى ذلك قائد الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال : أجل . فقال : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو

---

(١) سورة الأنفال ، آية: ٥. وانظر دلائل النبوة لأبي نعيم ٦٠٤/٢ ، ومجمع الزوائد ٧٣/٦ ، و٢٦/٧ .

(٢) سورة المائدة ، آية: ٢٥.

(٣) مَوْضِعٌ قَدِيمٌ مَعْلُومٌ بَيْنَ حَلْيٍ وَالْقُنْفُذَةِ عَلَى السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ لِلْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية - ١ / ٥٢.

(٤) ابن هشام ٢٥٣/٢ ، والواقدي ٤٨/١. وأصل الخبر في الصحيحين ، انظر البخاري ٩٣/٥ ، كتاب المغازي باب قول الله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ.....﴾ الأنفال آية (٩) . ومسلم ١٤٠٣/٣ كتاب الجهاد والسير باب غزوة بدر . وبرك الغِماد: بلد في اليمن ضربه المقداد مثلاً لبعد المسافة. انظر معجم البلدان ١٤٩/٢.

(٥) انظر ابن هشام ٢٥٣/٢، الواقدي ٤٨/١.

الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبرٌ في الحرب ، صُدُق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسرْ بنا على بركة الله[١] .

سُرَّ الرسول ﷺ بقول سعد ثم قال : سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم[٢].

ثم تابع النبي ﷺ سيره من ذفران إلى بدر فسلك على ثنايا الأصافِر[٣] ثم انحط منها إلى الدَّبَّة[٤] وترك كثيب الحَنَّان[٥] على يمينه ثم نزل قريباً من بدر[٦]. وركب رسول الله ﷺ هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لاستكشاف المنطقة ، حتى وقف على شيخ من العرب[٧] فسأله النبي ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما

(١) ابن هشام ٢٥٣/٢ ، الواقدي ٤٨/١-٤٩. ورواية مقاربة في دلائل النبوة للبيهقي ١٠٦/٣ . وعند مسلم أن القائل ذلك سعد بن عبادة ، قال ابن سيد الناس : ٢٤٨/١ إنما يعرف عن سعد بن معاذ .

(٢) ابن هشام ٢٥٣/٢ ، الواقدي ٤٩/١ ، ابن سعد ١٤/٢.

(٣) الأصافر: تثنية الأصفر ، وهي مجموعة جبال صغيرة تميل إلى اللون الأصفر ، تقع بطرف ريع ذفران من الغرب. الطريق النبوي ص٤٢ ، ومعجم معالم الحجاز ١٠٧/١.

(٤) الدبة: بفتح أوله وتشديد ثانيه ، الكثيب من الرمل ، وقال ابن إسحاق: ثم انحط إلى بلد يقال له الدبة، ولعل هذه البلدة سميت باسم الكثيب الرملي الواقع بالقرب منها ، تقع الدبة بين الأصافر وبدر. السمهودي ٢٧٥/٤ ، معجم معالم الحجاز ٢٠٥.

(٥) الحنان: بالفتح والتخفيف ، أو بالفتح والتشديد ، وهو كثيب من الرمل عظيم كالجبل ، يقع عند العدوة الدنيا ، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم. السمهودي ٢٥٠/٤ ، الطريق النبوي إلى بدر ص٤٢.

(٦) ابن هشام ٢٥٤/٢ .

(٧) يقال اسمه: سفيان الضمري. انظر ابن هشام ٢٥٥/٢، الواقدي ٥٠/١.

حتى تخبراني ممن أنتما ، فقال رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال: أو ذاك بذاك؟ قال : نعم : قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به المسلمون ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش ، ثم قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء ، ثم رجع إلى أصحابه ، والشيخ يقول : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق [1] ؟

وفي المساء بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من الصحابة إلى ماء بدر يلتمسون له أخبار العدو، فوجدوا على الماء غلماناً يستقون الماء لقريش فأخذوا اثنين منهما وفر الباقون ، فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالا : نحن سقاة قريش، فكره القوم ذلك ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما حتى اضطر الغلامان أن يقولا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، ولما فرغ ﷺ من صلاته قال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموها ، صدقا والله إنهما لقريش ، ثم سألهما النبي ﷺ عن قريش قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي بالعدوة القصوى ، فقال لهما النبي ﷺ : كم القوم ؟ قالا: كثير ، قال : وما عدتهم ؟ قالا : لا ندري ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين

(١) ابن هشام ٢٥٤/٢ ، الواقدي ٥٠/١ ، عيون الأثر ٢٤٨/١.

التسعمائة والألف، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش : قالا : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وغيرهم ، فقال رسول الله ﷺ : هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها [١].

وفي تلك الليلة أنزل الله عز وجل مطراً كان على المسلمين رحمةً طَهَّرَهم به، وعبد لهم الأرض، وربط به على قلوبهم، وكان على المشركين وابلاً شديداً أعاقهم عن التقدم[٢] .

وفي اليوم التالي تقدم النبي ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه ، فنزل أول ماء من مياه بدر ، فقال الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأي ، فنهض النبي ﷺ بالجيش وصنع ما أشار به الحباب[٣].

وبعد أن استقر المسلمون في المكان ، قال سعد بن معاذ : يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن

---

(١) ابن هشام ٢٥٥/٢ بتصرف ، ابن سعد ١٥/٢ ، الواقدي ٥٢/١-٥٣، وبعض الخبر في صحيح مسلم ١٤٠٤/٣ كتاب الجهاد والسير باب غزوة بدر ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٤/٣ .

(٢) أصل الخبر عند الواقدي ٥٤/١، ابن سعد ١٥/٢ وابن هشام ٢٥٩/٢ ودلائل النبوة للبيهقي ١١٠/٣ .

(٣) الواقدي ٥٣/١-٥٤، ابن هشام ٢٥٩/٢ ، المستدرك ٤٢٧/٣ ، ابن سعد ١٥/٢ .

أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم ينا صحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول اللهﷺ خيراً ، ودعا له بخير[١] وبنى المسلمون عريشاً من جريد[٢] في مكان مرتفع يشرف على ساحة المعركة ، ومشى الرسول ﷺ مع أصحابه إلى ساحة المعركة ، وجعل يضع يده على الأرض ويقول : هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان ، قال : فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[٣] . بات النبي ﷺ تلك الليلة قائماً يصلي إلى جذع شجرة يدعو ويبكي حتى أصبح[٤] بينما غشي الصحابة النعاس أمنة منه سبحانه[٥] ، وأخذوا من الراحة قسطهم .

أما قريش فقضت ليلتها في معسكرها بالعدوة القصوى ، ثم أقبلت في الصباح ، ونزلت من الكثيب إلى الوادي ، فلما رآها ﷺ قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحْنِهم الغداة.[٦]

---

(١) ابن هشام ٢٦٠/٢ ، وتاريخ الطبري ٤٤٠/٢ .

(٢) ابن سعد ١٥/٢.

(٣) الخبر في صحيح مسلم ٤٠١/٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر .

(٤) الخبر في مسند الإمام ١٢٥/١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٩/٣ ، ٤٩ .

(٥) الخبر في دلائل النبوة للبيهقي ١١٨/٣ ، وابن سعد ١٥/٢ .

(٦) ابن هشام ٢٦٠/٢ ، وعيون الأثر ٢٥٢/١ .

وبينما قريش تنزل من الكثيب رأى الرسول ﷺ عُتْبَة بن رَبِيعة على جمل أحمر فقال : إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا[١] .

وبدأ الرسول ﷺ يعدل صفوف المسلمين ، وبيده قدح[٢] ، فمر بسَوَاد بن غَزِيَّة حليف بني عدي ، وهو متقدم على الصف فطعن في بطنه بالقدح، وقال : استو يا سواد فقال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : استقد ، فاعتنقه وقبل بطنه ، فقال ﷺ : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال يا رسول الله: حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له النبي ﷺ بخير.[٣]

ولما انتهى النبي ﷺ من تعديل الصفوف أمر أصحابه ألا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم[٤] ، و قال : إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل[٥] ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ، ونهاهم عن قتل رجال من قريش وقال لهم: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا

(١) ابن هشام ٢٦١/٢ ، وعيون الأثر ٢٥٢/١ ، والخبر في مستدرك الإمام أحمد ١١٧/١ ، بمعناه .وكان عتبة ممن يرى الرجوع إلى مكة وكاد أن ينجح لولا كبرياء أبي جهل وغروره كما سيأتي.

(٢) القدح : السهم الذي يرمى به عن القوس النهاية٢٠/٤.

(٣) ابن هشام ٢٦٦/٢ ، وانظر الواقدي ٥٦/١-٥٧، وابن سعد ١٥/٢ .

(٤) ابن هشام ٢٦٦/٢ .

(٥) البخاري ٦٤/٤ ، الجهاد والسير باب التحريض على الرمي . والخبر عند ابن هشام ٢٦٦/٢ ، وسنن أبي داود ١١٨/٣الجهاد باب في سل السيوف عند اللقاء .

البختري بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرهاً.[١]

ورجع النبي ﷺ إلى العريش مع أبي بكر يدعو ربه ويقول : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم [٢] ، وقام سعد بن معاذ في جماعة على باب العريش يحرسونه ﷺ.

أما قريش فبعد أن أخذت موقعها بعثت عمير بن وهب الجمحي للتعرف على جيش المسلمين، فدار عمير بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : هم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً فرجع إليهم فقال : ما وجدت شيئاً ولكني رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، واللّه ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يَقتَل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرَوْا رأيكم [٣].

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى إلى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال

---

(١) ابن هشام ٢٦٩/٢ ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٥٧/٣، قال ابن هشام ٢٧٠/٢ : وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة وكان لا يؤذيه .. وكان ممن قام في أمر الصحيفة ...)) .

(٢) البخاري ١٧٩/٦ ، التفسير ، سورة اقتربت الساعة.

(٣) ابن هشام ٢٦١/٢ ، والخبر عند الواقدي ٦٢/١ ، ابن سعد ١٦/٢ ودلائل النبوة للبيهقي ٦٤/٣ .

وفي هذه الأثناء انحاز عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى معسكر المسلمين وقاتل مع النبي ﷺ مسلماً. انظر ابن هشام ٣٣٢/٢ .

تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر .قال : وما ذلك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي ، قال : قد فعلت ، إنما هو حليفي فعلي عقله ، وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية [١] فإني لا أخشى أن يشجر[٢] أمر الناس غيره ، يعني أبا جهل بن هشام ، ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا[٣] منه ما تريدون [٤] .

انطلق حكيم بن حزام إلى أبي جهل فوجده يهيئ درعاً له فقال له : يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سَحْره[٥] حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه [٦].

---

(١) قال ابن هشام ٢٦٢/٢ : والحنظلية : أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخربة أحد بني نهشل بن دارم ...

(٢) يشجر : شجر أمر الناس : اضطرب وتنازعوا فيه . الوسيط : ج ٤٧٥/١ .

(٣) تعرضوا : من قولهم : تعرض الأمر ، تصدى له ، انظر (الوسيط : ج ٢ / ٦٠٠) ولعل المعنى : لم تبلغوا منه ما أردتم .

(٤) ابن هشام ٢٦٢/٢ ، دلائل النبوة ٦٥/٣ وفي رواية البيهقي : أن عتبة قال لهم : إن كان هذا الرجل مليكاً كنتم في ملك أخيكم ، وإن كان نبياً لم تقتلوا النبي فتسبوا به ، ولن تخلصوا أحسب إليهم حتى يصيبوا أعدادكم ولا آمن أن تكون الديرة عليكم فحسده أبو جهل على مقالته الدلائل ١١١/٣ .

(٥) السحر : الرئة ، يقال للجبان ، انتفخ سحره ، أي ملأ الخوف جوفه فانتفخت رئته حتى رفعت القلب إلى الحلقوم ، لسان العرب مادة (سحر) .

(٦) ابن هشام ٢٦٣/٢-٢٦٤.

ثم بعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي : فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمي فكشف عجيزته ثم صرخ : وا عمراه !! وا عمراه !! فاستثار حمية المشركين ، فعزموا على الحرب، ولم يأخذوا بنصيحة عتبة[١]، وأرى الله سبحانه كل فريق في نظر الآخر قليلاً ليؤلف بينهم على الحرب ، فينتقم ممن أراد الانتقام منه ، وينعم على من أراد إتمام النعمة عليه[٢].

وتقدم الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق - قائلاً والله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فضربه فقطع رجله فوقع على ظهره ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، فاتبعه حمزة فقضى عليه في الحوض.[٣]

وتقدم عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فطلب المبارزة ، فخرج إليهم ثلاثة من شباب الأنصار ، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث ، وعبد الله بن رواحة.

قالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : أكفاء كرام، ما لنا بكم من حاجة، ثم نادوا : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا علي، فلما دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ فأخبروهم ، فقالوا : نعم أكفاء كرام،

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) الواقدي ٦٨/١ ، ابن هشام ٣١٩/٢ .

(٣) ابن هشام ٢٦٤/٢ ، دلائل النبوة للبيهقي ٦٦/٣ ، وفيه : فكان أول قتيل .

فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد ، فأما حمزة وعلي فقتل كل واحد منهما صاحبه،واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كل منهما أصاب مبارزه بجراح بليغة ، فكر حمزة وعلي على عتبة فأجهزا عليه[١] واحتملا عبيدة إلى النبي ﷺ فقال : ألست شهيداً يا رسول الله ؟ قال : بلى . فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أنا أحق بما قال منه حيث يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٢]

ثم زحف المشركون على المسلمين ودنا بعضهم من بعض واستفتح أبو جهل قائلاً : اللهم أَقْطَعُنَا للرحم وآتانا بما لا يُعرف

فَأَحْنِهِ الغداة[٣] ، اللهم انصر خير الدينين[٤] .

ونفذ المسلمون وصية رسول الله ﷺ وثبتوا في مواقعهم يصدون هجمات المشركين المتلاحقة ويوقعون بهم خسارات فادحة ، والرسول ﷺ في العريش يدعو ربه ويتضرع إليه ويقول : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم[٥] ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ألححت على ربك.[٦]

---

(١) انظر الواقدي ٦٨/١-٦٩ ، وابن هشام ٢٦٥/٢ ، وسنن البيهقي ١٣١/٩ ، ودلائل البيهقي ٧٢/٣ ، وابن سعد ٢٣/٢ بنحوه . وفي سنن أبي داود ١١٩/٣ الجهاد ـ باب المبارزة ،عن علي قال : فأقبل حمزة إلى عتبة ، وأقبلت إلى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ... الحديث قال ابن سعد ٢٤/٢ , والثبت على أن حمزة قتل عتبة ، وأن علياً قتل الوليد ، وأن عبيدة بارز شيبة.

(٢) المستدرك ١٨٨/٣ .

(٣) ابن هشام ٢٦٨/٢ ، ومسند الإمام أحمد ٤٣١/٥ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٧٩/٣ .

(٥) البخاري ١٧٩/٦ ، كتاب التفسير ـ سورة (اقتربت الساعة).

(٦) البخاري ، المرجع السابق .

وروى ابن هشام : أن النبي ﷺ خفق خفقة في العريش ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع[١].

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يثب في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢] وأخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً ثم قال : شاهت الوجوه ، ورمى بها في وجوههم فملأت أعينهم وأفواههم[٣] . وأصدر أوامره بالضغط على المشركين وقال : شدوا[٤] ، والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة.

فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل حتى قتل[٥] . وقال عوف بن الحارث : يا رسول الله ، ما يضحك الربَّ من عبده ؟ قال : غمسه يده في العدو حاسراً ، فنزع درعاً كانت عليه، فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.[٦] .

---

(١) ابن هشام ٢٦٧/٢ .

(٢) سورة القمر ، الآيتان ٤٥-٤٦، وانظر البخاري ، المرجع السابق .

(٣) الخبر في ابن هشام ٢٦٨/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٧٩/٣ ، ومجمع الزوائد ٧٨/٦ .

(٤) ابن هشام ٢٦٨/٢ .

(٥) ابن سعد ٥٢/٢ ، ابن هشام ٢٦٧/٢ , وأصل الخبر في مسلم ١٥١٠/٣ ، كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد .

(٦) ابن هشام ٢٦٨/٢ .

وحمل المسلمون على المشركين حملة رجل واحد ، ونزلت الملائكة تثبت قلوبهم[١] ، وتقاتل معهم ، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين ، فتضعضعت صفوفهم ، وأخذوا بالفرار ، والمسلمون والملائكة خلفهم يقتلون ويأسرون .

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي زُميل الحنفي عن ابن عباس قال: بينما رجلٌ من المسلمين يومئذ يشتدُّ في أَثَرِ رجل من المشركين أمامه إذْ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوتَ الفارس يقول : أَقْدِمْ حَيْزُومُ ، فنظر إلى المشرك أمامه فخَرَّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِم أنفه وشُقَّ وجهه كضربة السوط ، فاخْضَرَّ لذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة[٢] . وروى ابن إسحاق بسنده عن أبي داود المازني ، قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري[٣] .

ولما رأى إبليس - وكان قد رافق المشركين - في صورة سُرَاقة بن مالك - ما يفعل الملائكة بالمشركين فر ونكص على عقبيه ، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[٤] .

---

(١) روى ابن هشام عن بعض أهل العلم قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء ، وفي مجمع الزوائد عن ابن عباس : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ٣٢٧/٦ .

(٢) مسلم ١٣٨٤/٣ كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وروى الحاكم بسنده في المستدرك عن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة الأشهلي فذكر الحديث وفيه قال حويطب : ولقد شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عبراً ، فرأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض ، فقلت : هذا رجل ممنوع ٤٩٢/٣ .

(٣) ابن هشام ٢٧٤/٢ .

(٤) من الآية ٤٨ من سورة الأنفال. وانظر ابن هشام ٣٠٩/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٧٩/٣ ، ومجمع الزوائد ٧٧/٦ .

حاول أبو جهل لملمة صفوفه والصمود أمام المسلمين ، فجعل يشجع أصحابه ويناديهم : لا يهزمنكم خذلان سراقة إياكم فإنه كان على ميعاد مع محمد ، ولا يهولنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم قد عجلوا فو اللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالجبال ، فلا ألفين رجلاً قتل رجلاً منهم، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرِّفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى[1].

وثبت معه جماعة من قومه منهم ابنه عكرمة ، وأحاطوا به لحمايته، لكن هجوم المسلمين بدد هذه الحماية، وتقدم إليه شابان أنصاريان هما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجَمُوح وكانا يترصدانه، فضرباه حتى قتلاه[2] ، وفر أصحابه من حوله في كل جهة .

ولقي المُجَذّر بن زياد البلوي أبا البختري يقاتل مع زميل له ، فقال له المجذر : إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك ، قال : وزميلي ؟ قال : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك ،فقال : لا والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا تحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة ، ثم نازل المجذر وهو يرتجز:

لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

---

(١) مجمع الزوائد ٧٧/٦ .

(٢) ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال : أيكما قتله ؟ قال كل واحد منها أنا قتله ، فقال : هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا : لا ، فنظر في السيفين فقال : كلاكما قتله ، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، الخبر عند الواقدي من طرق متعددة ٨٧/١-٩١، وأصل الخبر في صحيح البخاري ١١٢/٤ ، كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ، ومن قتل قتيلاً فله سلبه.

فقتله المجذر ثم أتى النبي ﷺ فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته.[١]

وجعل الجراح والد أبي عبيدة يتعرض لابنه ويريد قتله ، وأبو عبيدة ﷺ يحيد عنه ، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله[٢].

ودعا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وكان يومئذ مشركاً إلى البراز فقام إليه والده الصديق ليبارزه ، فقال له النبي ﷺ : ((متعنا بنفسك يا أبا بكر))[٣]. وحمل عمر بن الخطاب على خاله العاص بن هشام فقتله.[٤]

وقاتل عكاشة بن محصن ﷺ بسيفه حتى انقطع في يده ، فأعطاه النبي ﷺ جذلاً من حطب فصار في يده سيفاً أبيض طويلاً[٥] .

ورأى عبد الرحمن بن عوف ﷺ وهو يجمع الغنائم أمية بن خلف وهو واقف مع ابنه علي - وكان بينهما معرفة في الجاهلية -، فقال : هل لك فيّ ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك ، قال : نعم ها الله إذاً ، فطرح الأدراع وأخذ بيده ويد ابنه إلى جبل ليحرزه ، فأبصره بلال ، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال : أمية بن خلف لا نجوت إن نجا ، قال عبد الرحمن : فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ثم أبوا حتى يتبعونا ، وكان رجلاً

(١) ابن هشام ٢٧٠/٢ , ومجمع الزوائد ٨٥/٦ . .

(٢) الخبر في المستدرك ٢٦٤/٣ ، بتصرف .

(٣) المستدرك ٤٧٤/٣ بتصرف .

(٤) الخبر في ابن هشام ٢٧٧/٢ .

(٥) ابن هشام ٢٧٧/٢ , ودلائل النبوة للبيهقي ٩٨/٣ .

ثقيلاً فلما أدركونا ، قلت له : ابرك فبرك ، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه[١] .

ومر مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير وأحد الأنصار يأسره ، فقال : مصعب للأنصاري : شد يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، فقال أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ، فقال له مصعب : إنه أخي دونك[٢] .

ولما بدأ الصحابة يأسرون ، ورسول الله ﷺ في العريش وسعد بن معاذ قائم على بابه يحرسه متوشحاً سيفه ، رأى رسول الله ﷺ في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم ، قال : أجل ، والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخان في القتل أحب إليّ من استبقاء الرجال[٣] .

ولما انتهت المعركة أمر رسول اللهﷺ أن يلتمس أبو جهل في القتلى ، قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه، ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدو الله ، قال : وبماذا أخزاني ؟!! أعمد من رجل قتلتموه ؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قلت : لله ولرسوله ، قال : ثم اجتززت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا

---

(١) الخبر في ابن هشام ٢/٢٧١ ، والبخاري ٣/١٢٩ ، كتاب الوكالة ، باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب بتصرف .

(٢) ابن هشام ٢/٢٨٨ , وعيون الأثر ١/٢٦٥ .

(٣) ابن هشام ٢/٢٦٨ , وعيون الأثر ١/٢٥٧ .

رأس عدو الله أبي جهل ، فقال : رسول الله ﷺ آلله الذي لا إله غيره ، قلت : نعم ، والله الذي لا إله غيره ، فحمد الله[١] .

ثم صلى رسول الله ﷺ على الشهداء وأمر بدفنهم في مكان مرتفع بعيداً عن مجرى الوادي، أما قتلى المشركين فطرحوا في قليب ، وكان من بينهم عتبة بن ربيعة ، فلما سحب إلى القليب نظر رسول الله ﷺ في وجه ابنه أبي حذيفة فإذا هو كئيب قد تغير لونه ، فقال : يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ، فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجوا أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر أحزنني ذلك . فدعا له النبي ﷺ وقال له خيراً.[٢]

ثم وقف النبي ﷺ على فم القليب وجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله ما تُكَلِّم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.[٣]

وهكذا انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للمشركين ، وبنصر مبين للمؤمنين ، واستشهد في هذه المعركة أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وهم :

---

(١) انظر ابن هشام ٢٧٥/٢ ، ٢٧٧ ودلائل النبوة لأبي نعيم ٦١٥/٢ ، وأصله في البخاري ٩٤/٥ ، كتاب المغازي - باب قتل أبي جهل .

(٢) ابن هشام ٢٨٢/٢ , وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٢٤/٣ .

(٣) الخبر في صحيح البخاري ٩٧/٥ ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل .

١. عُمَير بن أبي وقاص الزهري[١].
٢. ذو الشمالين بن عبد عَمْرو الخزاعي .
٣. عاقل بن البُكَير العدوي .
٤. مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب .
٥. صفوان بن بيضاء الفهري .
٦. عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب ، قطع رجله عتبة بن ربيعة أثناء المبارزة ، فحمله الجيش جريحاً حتى مات في طريق العودة ، ودفن بوادي الصفراء.

وثمانية من الأنصار وهم :

١. سعد بن خيثمة من بني عَمْرو بن عوف.
٢. مبشر بن عبد المنذر. من بني عمرو بن عوف.
٣. يزيد بن الحارث ابن فُسْحُم من بني الحارث بن الخزرج.
٤. عُمَير بن الحمام من بني سلمة
٥. رافع بن المُعَلَّى من بني حبيب.
٦. حارثة بن سراقة بن الحارث من بني النجار..
٧. عوف بن الحارث .من بني غَنْم بن مالك بن النجار.
٨. مُعَوِّذ بن الحارث من بني غَنْم بن مالك بن النجار[٢].

---

(١)ذكر في كنز العمال ٤٠٨/١٠ باسم عامر بن وقاص .

(٢) ابن هشام ٣٥٤/٢ ، وعيون الأثر ٢٨٤/١ ، وانظر صحيح البخاري ١١١/٥ .

و قتل من المشركين سبعون وأسر سبعون[١] وفَرّ الباقون ، وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعي ، فقالوا له ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف ... وجعل يعد أشراف قريش ، قال صفوان بن أمية ، وهو قاعد في الحجر ، والله إن يعقل هذا فاسألوه عني . فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالساً في الحِجْر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.[٢]

تلقت مكة أنباء الهزيمة الساحقة كالصاعقة ، حتى إن أبا لهب مات جزعاً بعد سبع ليال.[٣]

أما النبي ﷺ فقد أرسل بشيرين إلى أهل المدينة ، عبد الله بن رواحة بشيراً إلى العالية[٤] ، وزيد بن حارثة على ناقته القصواء إلى أهل السافلة[٥] يبشرونهم بنصر الله للمسلمين.

وكان اليهود والمنافقون قد أرجفوا في المدينة بإشاعات كاذبة ، ولما رأى أحد المنافقين زيد بن حارثة راكباً القصواء قال : لقد قتل محمد , وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب ، ما جاء إلا منهزماً.[٦]

---

(١) ابن هشام ٣٦٢/٢ , وصحيح البخاري ١٠٠/٥ ، كتاب المغازي .

وذكر ابن إسحاق أن القتلى خمسون ، وروى البيهقي في الدلائل ١٢٣/٣ ، أنهم بضعة وأربعون ، وذكر في موضع آخر كانوا أربعة وأربعين أسيراً وأربعة وأربعين قتيلاً ، وفي سنن سعيد بن منصور ٢٥١/٢ الأسرى واحد وسبعون والقتلى تسعة وستون .

(٢) ابن هشام ٢٨٩/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١١٦/٣ .

(٣) ابن هشام ٢٨٩/٢ .

(٤) العالية هي: قباء وخطمة ووائل وواقف وبنو أمية بن زيد وقريظة والنضير . ابن سعد ١٩/٢ .

(٥) ابن هشام ٢٨٤/٢ .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي ١٣٢/٣ .

وقف عبد الله بن رواحة في أهل العالية وزيد بن حارثة عند المصلى في أهل السافلة ، والتف حوله المسلمون فبشراهم بنصر الله المسلمين وسلامة رسول الله ﷺ ، وقتل رؤوس المشركين وأسر عدد منهم.[١]

أما النبي ﷺ فقد أقام ببدر بعد انتهاء المعركة ثلاثة أيام ، وفي تلك الفترة وقع خلاف حول الغنائم ، فأمر النبي ﷺ بأن يرد الجميع ما بأيديهم ففعلوا ، ثم نزل الوحي بأحكام الغنائم وكيفية توزيعها.

وبعد ثلاثة أيام انطلق ﷺ بجيشه نحو المدينة ومعه الأسرى والغنائم ، وعندما وصل إلى الصفراء أمر بقتل الحارث بن النضر حامل لواء المشركين، ولما خرج من مضيق الصفراء، نزل على كثيب بين المضيق والنازية فقسم الغنائم بين المسلمين على السواء[٢].

وعند عرق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط أحد أشد الناس عداوة لله ولرسوله[٣] .

ولما وصل إلى الروحاء تلقاه بعض المسلمين يهنئونه بالفتح وعلى رأسهم أسيد بن حضير رضي الله عنه الذي قال: يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها العير ، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت ، فقال رسول الله ﷺ: ((صدقت)).[٤]

---

(١) المستدرك ٧٤/٤ بتصرف .

(٢) ابن هشام ٢٨٦/٢ ، والخبر في سنن البيهقي ٣٠٥/٦ بنحوه .

(٣) ابن هشام ٢٨٦/٢ .

(٤) الواقدي ١١٦/١ ، دلائل النبوة ١٣٣/٣ .

وقال سلمة بن سلامة : ما الذي تهنئوننا به ؟ فو الله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة فنحرناها ، فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : أي ابن أخي أولئك الملأ[١] .

ودخل رسول الله ﷺ المدينة مظفراً منصوراً قبل وصول الأسرى بيوم[٢] ، قد خافه العدو وعز به الصديق .

وفي اليوم التالي وصل الأسرى إلى المدينة ووزعهم النبي ﷺ على أصحابه ، وأوصى بهم خيراً ، فكان الصحابة يكرمونهم حتى إن بعضهم كان يأكل التمر ويقدم لأسيره الخبز عملاً بوصية رسول الله ﷺ[٣] .

ثم استشار النبي ﷺ أصحابه فيهم ، فقال أبو بكر : يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب ، قال : لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فأخذ النبي ﷺ بقول أبي بكر وقبل منهم الفداء، فأنزل الله سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ ﴾[٤] .

---

(١) ابن هشام ٢٨٦/٢ ، وتاريخ الطبري ٤٥٩/٤ .

(٢) الواقدي ١١٩/١ ، ابن هشام ٢٨٧/٢ .

(٣) الخبر في الواقدي ١١٩/١ ، وابن هشام ٢٨٨/٢ بتصرف .

(٤) الآيات ٦٧-٦٨-٦٩ من سورة الأنفال. والخبر في صحيح مسلم ١٣٨٥/٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، والمستدرك ٣٢٩/٢ ، ومسند الإمام أحمد ٢٤٣/٣ بتصرف .

وكان الفداء يتراوح ما بين ألف درهم إلى أربعة آلاف [١]، ومن لم يكن عنده مال دفع إليه عشرة أولاد من الأنصار يعلمهم الكتابة فإذا حَذِقوا فهو فداؤه[٢] .

ومَنَّ رسول الله على عدد من الأسرى فأطلقهم بدون فداء منهم : المطلب بن حنطب ، وصيفي بن أبي رفاعة ، وأبو عزة الجمحي[٣] ، ومَنَّ على ختنه أبي العاص بشرط أن يخلي سبيل زينب ، وكانت قد بعثت في فدائه بمال فيه قلادة ، كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقة شديدة ، واستأذن أصحابه في إطلاق أبي العاص فقالوا : نعم يا رسول الله فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها.[٤]

وبعد انقضاء الغزوة نزلت سورة الأنفال تتحدث عن أهم الأحداث التي جرت في المعركة ، وتبين الأهداف النبيلة التي خاض النبي ﷺ هذه المعركة لأجلها، كما تبين ما تمس الحاجة إليه من قوانين الحرب والسلم، خاصة بعد دخول الدعوة الإسلامية هذه المرحلة حتى تمتاز حروبهم عن حروب أهل الجاهلية ، ويكون لهم التفوق في الأخلاق والقيم والمبادئ، وتعظ المشركين واليهود والأسرى حتى يعودوا إلى الاستسلام للحق والدخول فيه ، وتوضح أواصر الصلة القوية بين المؤمنين وتذكرهم بفضل الله عليهم بما أولاهم من النعم وأيدهم به من النصر .

---

(١) ابن هشام ٢/٣٠٦ ، وأبو داود ٣/١٣٩ ، كتاب الجهاد ، باب في فداء الأسير بالمال .

(٢) ابن سعد ٢/٢٢ ، وعيون الأثر ١/٢٨٦ .

(٣) ابن هشام ٢/٣٠٤ .

(٤) ابن هشام ٢/ ٢٩٧ ، والمستدرك ٣/٢٣-٢٣٦ ـ ٣٢٤ وغيره .

الملحق الأول: أسماء الأسرى والقتلى من المشركين:

أولاً: قتلى المشركين:

المشهور بين أهل العلم أن قتلى المشركين في بدر سبعون وأسراهم سبعون أيضاً ، فقد روى البخاري[١] بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير فأصابوا منا سبعين ، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً. وبنحوه روى مسلم عن ابن عباس[٢] رضي الله عنهما ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾[٣]. أي: قد أصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منكم يوم أحد ، وكان الشهداء في أحد سبعين. إلا أن أعداد القتلى والأسرى لم تكتمل سبعين عند أهل المغازي والسير ، حتى قال ابن إسحاق : "فجميع من أحصي لنا من قتلى قريش يوم بدر خمسون رجلاً "[٤]، وروى البيهقي في الدلائل[٥] بسنده عن موسى بن عقبة فذكر الحديث وفيه قال: "وقتل من المشركين يوم بدر تسعة وأربعون رجلاً ، وأسر منهم تسعة وثلاثون". وروى بسنده ن عروة فذكر الحديث وفيه قال: "وكان من قتل يوم بدر وأسر من المشركين ثمانية وثمانين رجلاً".[٦] ولعل الخلاف الحاصل عند أهل السير في أعدادهم يعود إلى عدم اكتمال العدد عند سرد الأسماء ، قال الحافظ ابن حجر: "لكن لا يلزم من معرفة أسماء من قتل على التعيين أن يكونوا جميع من قتل".[٧]

---

(١) البخاري ١٠٠/٥ ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد.

(٢) مسلم ١٣٨٤/٣ كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

(٣) من الأية ١٦٥ من سورة آل عمران .

(٤) ابن هشام ٣٦٢/٢ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ١٢٣/٣ .

(٦) المرجع السابق ٢٨٠/٣ .

(٧) شرح الزرقاني على المواهب ٤٤٥/١ .